روح اليابان وسلاحها

زعيمها الحربي يتحدث

«كنوز الثلاثة المقدسة» هي المرآة رمزاً للعدل، والجوهرة رمزاً للرحمة، والسيف رمزاً للشجاعة. هذه الفضائل هي سر روح اليابان» [الجنرال اراكي

لما دعي الجنرال اراكي من نحو ثلاث سنوات ونصف سنة، من قيادة فرقة محلية، الى تقلد وزارة الحربية، كانت الحملة المنشورية في بدئها. ولكن مكانة وزير الحربية حينئذٍ وشأنهُ الكبير في الوزارة اليابانية، كانا مستمدّين من خطورة الحملة في منشوريا ومن معرفة زملائه أنهُ يستطيع أن يسير فيسير الجيش الياباني وراءه. ذلك أن الجيش كان قد دبَّ فيهِ دبيب الخروج عن الطوق، إذ رأى الدبلوماسية اليابانية في مسألة منشوريا مترددة خائفة لا تقف من الحالة موقفاً حازماً. وكان الضباط الشبان يقرأون لبعض متصوفة اليابان بأن الله لا بدَّ معيد لليابان مجد ازدهارها على يد الجيش والقواد والضباط، فينقضي عندئذٍ عهد المتمول وعهد خادمه السياسي. وبدأ القوم يسمعون في أندية اليابان ودوائرها همساً باحتمال وقوع انقلاب في نظام الحكم، يقوم بهِ الجيش المتمرد، فيطرُدُ السياسيون من منصات الحكم وتنشأ حكومة عسكرية قومية

وكان التقلقل السياسي حينئذٍ على أشده، فالوزارة السابقة كانت قد استقالت على أثر خروجها عن قاعدة الذهب، وكانت الجمعيات السرية قد دوَّنت في قوائمها أسماء بعض الوزراء وكبار المتمولين لكي تتخلص منهم، لأن في الخلاص منهم فائدة — في رأيها — للوطن، وكان الضباط يمدون رجال هذه الجمعيات بالمسدسات وقنابل اليد

كانت الحالة في اليابان على ما ذكرنا، لما دعي الجنرال اراكي لتقلد وزارة الحربية. والجنرال اراكي يحبه الشبان من الضباط ويحترمونه ويثقون به. وهو من ناحية يشاطرهم آراءهم ويعطف على ما يشكون منهُ. وكان، وهو في منصب مدير المدرسة الحربية، قد بسط ايمانه برسالة اليابان ووجوب تحقيقها بالحديد والنار. ففي اراكي رأى الجيش زعيماً يجدر بهم أن يتبعوه. فالى أين يقودهم...؟

أما الجيش في منشوريا، فوجد في اراكي وزير الحربية الامثل، لانهُ لما تقلد المنصب، أصبحت الامبراطورية اليابانية بجميع مواردها وقواها، تؤيد الجيش الياباني في مغامرته المنشورية. فاراكي كان لسان الجيش، والمعرب عن مشيئته، وفي ذلك، كاد يكون مستقلاً كل الاستقلال عن الوزارة يستمد سلطته من الامبراطور مباشرة، والامبراطور هو قائد الجيش الأعلى، بل هو بمثابة الله في اليابان، والسلطة التي منحها الامبراطور للجنرال اراكي، استعملها اراكي الى أقصى حدودها

لذلك رأينا الجيش الياباني في سنة ١٩٣٢. بعد فترة من التردد والاحجام، في منشوريا

وقد اتخذ خطة الهجوم ، تنفيذاً للمشيئة الوطنية . فلما سارت الاعمال الحربية سيرها المرسوم ، عجز رجال السياسة عن التدخل في السيطرة عليها ، فكان اراكي وأركان حربه ، والقواد الذين في الميدان ، أصحاب الحل والربط الفعليين في كل ما يتعلق بمنشوريا

ويذكر القراء انهُ قبلما يقدم تقرير لتون الى جمعية الامم — وهو تقرير اللجنة التي ذهبت الى الصين برآسة لورد لتون من قبيل جمعية الامم لتحقيق مسألة اعتداء اليابان على الصين — اعترفت حكومة اليابان بدولة منشوكو — وهي الدولة التي أقامتها اليابان في منشوريا وأقامت عليها آخر امبراطورة المنشو الصينيين — فأعلنت بهذا الاعتراف انها اتخذت قراراً حاسماً فيما يتعلق بخططها في شرق اسيا . وفي سبيل هذا القرار خرجت من جمعية الامم متحدية الرأي العام الدولي

والجيش الياباني الآن يعتقد انهُ قد فاز بحل المشكلة المنشورية (أو هو يظن انهُ قد فاز) بانشاء دولة منشوكو ، فاتسع المجال أمام اليابان لتعيش اذ كمل لها هذا الحل موارد زراعية ومعدنية تحتاج اليها ، وأسواقاً لبيع بضائعها ومجنًّا تردُّ به روسيا . فالجيش قد اختصر الطريق الى هذا الغرض ، وصرم حبال السياسة الطويلة ، بفعل الحديد والنار ، وحقق خصة معينة في السياسة الخارجية تعتقد الأمة اليابانية عن بكرة أبيها ، انها خطة لا مندوحة لها عنها اذا أرادت اليابان أن تعيش

والجنرال اراكي اليوم[1] هو رجل الساعة في اليابان ، عُيِّن في وزارة الحربية ليتطلى الثمر المهتج — أي الجيش — فامتطاه على ما يهوى الثمر نفسه . وفسح له المجال لتحقيق الاماني التي يرنو اليها وهو في رنوّه اليها انما يعبر عن مشيئة الامة اليابانية بأسرها

وكان بعض المشتغلين بالسياسة يتوقعون أن يقوم اراكي بعد فوزه هذا ، بقلب الحكم في اليابان ، وخصوصاً بعد الخطأ الذي ارتكبه بعض الشبان من الضباط في قتل رئيس الوزارة اينوكاي . ولكن آمالهم خابت فيما يتوقعون ، لان وزير الحربية — اراكي — لم يلبث بعد وقوع الحادثة ان أصدر أمراً قال فيه « ان الجيش افراداً وكلاً منسجماً ، لا يتحرك الا وفقاً لأمر الامبراطور ، وان كل انحراف عن هذه القاعدة خيانة » . فأثبت انهُ دستوريٌّ ، وقضى الشهور التالية ، محاولاً أن يعيد الى اليابان استقرارها واتزانها ، وكانت قد فقدتهما على أثر التجارب والمغامرات التي هزتها هزًّا . ثم ان اراكي رجل لا ينتمي لحزب ، ولا هو صديق للنظام البرلماني ، ولكنهُ بذل كل ما في لكي يمكن اليابان من استئناف نمو الانظمة النيابية فيها

كان قبل تقلده وزارة الحربية ، مجهولاً عند السواد من الشعب الياباني . انتظم في سلك الجيش وليس له ما يميزه من عزوة أو مال أو نفوذ . كان والداه فقيرين وبدأ هو حياته في منصب كاتب في معمل « صلصة » . وغنيٌّ عن البيان أن رجلاً بدأ حياته كاتباً بسيطاً في معمل « صلصة » ثم أصبح

(١) استقال اراكي من وزارة الحربية لما رأت الوزارة ان لا تمنحه كل ما طلبه من الزيادة في ميزانية الجيش ولكنه لا يزال من أصحاب الحول والطول في توجيه سياسة اليابان ، وانما من وراء ستار

وهو في السابعة والخمسين « وزير حربية » وزعيم الجيش الياباني ، كان فتىً طموحاً . ولكنهُ لم يطلب الشهرة ولا سعى اليها . فلم يظهر في ميدان الشؤون العامة في بلاده ، حتى اقتضت ذلك حوادث ما لهُ فيها يد

وليس في سيرته ما يسترعي النظر وانما في ذهنه ما يسترعي العناية . فبصفة كونه جندياً ياباني ، شعر بوجوب وضع مبدإ جديد ، يسير بمقتضاه الجيش الياباني . ففي الايام القديمة اي في أيام الاقطاع كان الساموري يطيع أميره طاعة عمياء . فلا بدَّ اذاً ، من وضع مبدأ ينظر اليه الجندي الياباني كما كان الساموري ينظرون الى أمرائهم في العهد القديم . واليك ملخص هذا المبدأ : —

ان الطبيعة والقدر وضعا الشعب الياباني موضعاً تحيط به المخاطر والمصاعب من كل ناحية . تصيبه الزلازل والاعاصير والبراكين وتضيق به جزائر اجداده . ولكن الشعب لا يسلم للمخاطر التي تزجيها اليه الطبيعة ، ولا يجب ان يقف دون العراقيل التي تقوم في سبيل توسعه مكتوف اليدين . فالحياة « حياة خطرة » وهي مصير اليابان المحتوم . وفي دولة هذه حالتها ، تعظم التبعات الملقاة على عاتق الجيش نحو الامة

وهو يضحك من اولئك الكتاب الذين يشبهونه بكبار رجال السياسة من الاوربيين ويقول « ان اليابان لا تحتاج الى هتلر ولا الى موسوليني » ولكنه لا ينكر انها تحتاج الى اراكي . ليس في مظهره ما يدلُّ على انه قائد عظيم او اكبر من امراء الحرب ، فهو قصير القامة هزيل الجسم تدل اساريره على التقشف والحياة البسيطة ، ولكنهُ شديد العناية بالآراء التي تطرح عليه ، ويسرُّه كل السرور ان يناقشها ويجادل فيها

قابله احد الصحفيين وبادره بالقول : يا جنرال انني اريد ان أفهم العالم من انت ، فالناس خارج هذه البلاد يعتقدون انك دكتاتور ، وكثيرون يظنون انك تمثل خطة السطو والبسطة في حياة اليابان الخارجية والنزعة الفاشستية في حياتها الداخلية ، فما هو « ركن الروح اليابانية » التي تتحدث عنها . فقال الجنرال : ان ركن الروح اليابانية كنوزنا المقدسة : هي المرآة تمثل العدل ، والجوهرة تمثل الرحمة . والسيف يمثل الشجاعة . ان ركن الروح اليابانية هو هذه الفضائل ممثلة في البيت الامبراطوري من بدء تاريخنا : هذه هي حكومتنا المثلى . ان مثلكم الاعلى في الحكومة هو قيام الحكومة على رضاء المحكومين . اما نحن فمثلنا هو وحدة الحاكم والمحكوم . فنحن ننظر الى الامة نظرنا الى الاسرة . ونحسب ان الحكومة تعاون الشعب والامبراطور على تحقيق ما فيه الخير العام . هذه الروح مناقضة للنزعة الدكتاتورية . ولما كان مثلنا السلم والوحدة في داخل بلادنا فلا بد من ان يكون روحنا الهادي مناقضاً لنزعة السطو والبسطة في الخارج . وقد مضى على الشعب الياباني ، عائشاً في ظل حكومة الامبراطورة ، القائمة على هذا الروح ، نحو الفي سنة ولكن في العقود الاخيرة تقلقلت افكارنا ، متأثرة بمثل الغرب ، وأخذ بعض شعبنا يميل الى نسيان الاغراض السامية التي وضعها

أجدادنا . فأنا لا امثل خطة خاصة بي . بل ادعو الى العودة الى عاداتنا ومثلنا القديمة

الصحفي — لقد بينت في كتابك الذي جعلت عنوانه « رسالة اليابان » ان كل آسيا تقريباً ما عدا اليابان : إما مضمحلة فيها الفوضى او هي محكومة من سلالات اجنبية وقلت ان « رسالة اليابان القومية هي رسالة بناء وفسرتها بقول الحكيم : اقيموا هذه الارض الطافية على اساس مستقر » فهل هذا يعني انه من الواجب على اليابان ان تعيد النظام الى اصقاعه في بلاد الصين ؟ »

الجنرال — لما استعمل ذلك الحكيم الالهي الكلمات التي اشرت اليها كان ينادي اليابانيين الى جعل اليابان بلاد نظام وسلام . وانك ولاشك تقر باننا حاولنا ، ان نحول الفوضى في بلادنا الى نظام. فاذا كنا نستطيع ان نمد يد المعونة الى الصين او الى اي بلاد غيرها حيث الانسانية تتألم وحيث الناس يقتلون بعضهم بعضاً ، فالواجب علينا يقضي بأن نفعل ذلك . ان مثلنا الاعلى النهائي هو سلام العالم ، قائماً على العدل والرحمة . واود ان تفهم ، اننا في سبيل الوصول الى هذا الغرض انتظمنا في جمعية الامم

الصحفي — ان منشوريا بلاد شاسعة مترامية الاطراف ، يقطنها نحو اربعة ملايين من السكان في مليون ميل مربع من الارض . فهل تعني يا حضرة الجنرال ان اليابان تستطيع ان تجد في هذه البلاد سعة لسكانها المائتين ، من دون ان تعتدي او تسطو على احد ؟

الجنرال — لنتوع الانساني الحق ان يعيش على وجه الارض فلنفرض ان السكان في بلاد ما كانوا قلالاً اذا قيسوا بمساحة البلاد وغنى مواردها الطبيعية . ولنفرض ان السكان في بلاد اخرى كانوا كثاراً جداً اذا قيسوا بمساحة البلاد وضآلة مواردها الطبيعية . وان البلاد الاولى تقفل في وجه سكان البلاد الاخرى الباب وتمنع تبادل البضائع بالحواجز العالية . افلا يكون هذا العمل حداً لحرية الحياة وانطلاقها . وهل يمكن تحقيق السلام العام ، والرخاء العام بهذه الوسائل ؟

أنا لا اعتقد ان السلام يمكن ان يعزز ، بالاحتفاظ بالحالة الراهنة بين الامم . فالعالم ليس شيئاً مستقراً ، والامة اليابانية ، مثل سائر الامم ، لها الحق في ان تسعى الى الفردوس على الارض على أني اشارك الاقتصاديين في ان الهجرة لا تحل مشكلة زيادة السكان . فنحن نطلب ميداناً حيث نستطيع ان ننمو نمواً طبيعياً بمقتضى القواعد العلمية (وهنا اشارة لاريب فيها الى منشوريا)

الصحفي — ان الصين في حالة يرثى لها من الفوضى ، وتضعضع أسباب النظام . فاذا سلمنا ان على الدول جانباً كبيراً من التبعة في مساعدة جارتها ، أفلا تكون رسالة اليابان في الصين ان تخرج بها من الفوضى الى النظام

الجنرال — ان السلام في الشرق الاقصى يجب ان يقوم على وحدة الصين القومية ، وعلى تعاون اليابان والصين ، وقد كان هدف سياستنا الخارجية من ايام الميجي (١٨٦٠ و١٩١٢) العمل على ترقية الصين والتعاون بين الصين واليابان ، وحتى الآن لم نلق جزاء لنا على صنيعنا . والصينيون من

دون تفكير وتروّ في اعمالهم ، هبطوا بالصين الى الدرك الاسفل من الفوضى ، ونحن جيران الصين نأسف اشد الاسف على هذه الحال السائدة هناك ، ولكننا لن نيأس ولن يدب القنوط الى نفوسنا ، وسوف لا نضن بجهد لمساعدة الصين على توطيد الامن والنظام في ربوعها

الصحفي — وكيف تعيدون الصداقة بين اليابان والصين ؟

الجنرال — إن وجود الامة الصينية ووجود الامة اليابانية يجب ان يكون وجوداً مستقلاً فالامتان ليستا خصمين ولا متنافسين . والصلة بينهما يجب ان تكون وثيقة كصلة العجلة بمحورها . يجب ان يتقدما معاً والاّ فانهما يتألمان معاً . وقد عكر صفو الصلات الودية بينهما ، أن رجال السياسة وامراء الحرب في الصين مكبّون على زاماتهم الخاصة ومصالحهم الذاتية ولا يعنون حقيقةً بالواجب الوطني وهو تعزيز بناء النظام في انحاء البلاد وإقامته على اساس راسخ

والاساس الذي تقوم عليه صداقة الصين واليابان يقتضي ان يتجه الضمير الوطني المستيقظ في الصين الى الحق والعدل . ويجب على الصين ان تتخلى عن خطتها القديمة باثارة دولة ضد اخرى . فاذا ادرك الصينيون مصلحتهم الحقيقية واتجهوا الى عمل البناء والتشييد ، صفت في الحال صلاتنا بهم مما يشوبها فنستطيع ان نتعاون حينئذٍ معاً على تعزيز السلام في الشرق الاقصى

الصحفي — في جزائر الفيليبين ١٢ مليوناً من السكان . ويظن المستر هوفر ان جزائر الفيليبين تتسع لستين مليوناً . فهل تقول ان اليابانيين وبلادهم شديدة الازدحام يهم بحقٍّ لهم ان يهاجروا الى الفيليبين

الجنرال — الشعب الياباني شعب مجتهد . منظم . امين . فنحن ندعي اننا نصلح من الناحيتين الجسدية والعقلية ، للهاجرة الى الفيليبين ، بل والى اي بلاد من بلدان العالم ، اذا وازنت بيننا وبين سائر الامم . واننا نحن لا نريد ان نكون ضيوفاً ثقالاً غير مدعوين . بل نطلب ان نعامل بمعاملة خالية من التحزب والظلم ، ونحن نأمل من البلدان غير المزدحمة بالسكان التي ترضى ان ندخلها على قدم من المساواة والحرية ، أن تفتح لنا صدرها في اول فرصة

الصحفي — وما مقام الجيش الياباني في الدولة ؟ ألا يصح ان نقول ان الجيش في اليابان ليس اداة من ادوات الحكومة ، وانما هو الابن الاكبر في الاسرة القومية — اي الامة اليابانية ؟ وقد يكون الواجب على الابن الاكبر احياناً ان يتصرف في الاحوال الاستثنائية تصرفاً تقتضيه الاحوال ويمليه عليه عقله وضميره ، فيكون في تصرفه هذا نائباً عن الاسرة ؟ أكانت هذه الروح روح الجيش اذ تقلد زمامة المغامرة المنشورية ؟

الجنرال — ان الواجب على الجيش الامبراطوري محاربة الشيطان بفضيلة الشجاعة الممثلة في السيف ، وهو احد كنوزنا المقدسة الثلاثة ، فالجيش ليس اداة في يد الحكومة ، ولا هو الابن الاكبر في الاسرة القومية ، انما هو جانب من الفضائل العظيمة التي يتصف بها الامبراطور ، اي العدل والرحمة والشجاعة . فهو في الواقع ينفذ مشيئة الامبراطور

فلما تقلد الجيش الزعامة في منشوريا لم يكن الجيش الا سيف الامة ، والمعبر جميع في افعاله عن مشيئتها ، فقوة البلاد وعزمها على توطيد السلام الدائم في الشرق الاقصى — كل ذلك يبدو في الجيش الياباني في منشوريا

الصحفي — هل يقبل الجيش اوامر الحكومة المدنية ، او يدعي الحق في تقرير الخطط السياسية في بعض الامور

الجنرال — ليس على الجيش من واجب الا الدفاع عن البلاد ، واظهار الهيبة الامبراطورية . فقيادته العليا في يدي الامبراطور . ومقامه في الدولة يختلف عن مقام الجيوش في الدول الاخرى التي تنفذ اغراض الحكومات القائمة . فالجيش الياباني يتصرف في صغائر الامور او كبائرها ، اذا وجب اظهار الارادة الامبراطورية و « الاودو » اي رغبة الامبراطور . فمن البداهة ان يشترك الجيش في تقرير السياسة الوطنية في ما يتعلق بالدفاع

الصحفي — اتعتقد ان الجيش يجب ان يظل مبتعداً عن السياسة ، واذا فسد السياسيون وأصبحوا مرتكبين ، وعرضوا الامة ، بحكومتها الفاسدة الى الخطر ، فهل يظل من الواجب على الجيش ان يقف مترفعاً عن الشؤون السياسية

الجنرال — لا يمكن للجيش ان يظل مترفعاً عن سياسة تنطوي على الارتكاب والفساد ، ولا يسعه ان يسكت عن انتشار الآراء الخفيفة والمتطرفة . ولكن الجيش لا يتحرك الا بأمر الامبراطور ، ورئيس اركان الحرب مستشار الامبراطور في ذلك

الصحفي — سمعنا كثيراً في السنة الماضية عن اثر « الضباط الاحداث » في السياسة ، ونحن لا نستطيع ان نفهم كيف يؤذن للضباط وخصوصاً الشبان منهم ، ان يتدخلوا في الشؤون السياسية. فهل تستطيع ان تفسر لي كيف فازوا بهذا النفوذ في الجيش الياباني

الجنرال — الضباط الشبان هم زهرة الجيش الامبراطوري وذخره . ان شجاعتهم في منشوريا وشغفهم تبعث على الدهشة . على ان الجنود اليابانيين لا يسمح لهم ان يتدخلوا في الشؤون السياسية وانما ينظرون الى الامبراطور كزعيمهم الاعلى هم جنود الامة وحراسها . والجيش وحدة . والضباط الشبان ليسوا طبقة فيه منفصلة عن الطبقات الاخرى . ولكنهم لشبابهم وشجاعتهم يسترعون عناية الناس اكثر مما يسترعيها غيرهم

الصحفي — ان العالم يعجب بنظام الجيش الياباني ، لذلك صدم الناس صدمة عنيفة لما سمعوا ان ضباطاً لابسين البذلة الجندية الامبراطورية قتلوا رئيس الوزراء اينوكاي

الجنرال — عمل فظيع ! ولكن يجب ألا تحكم على الاقليم بالاعاصير والعواصف التي تثور احياناً . فلا تحكم على الجيش الياباني بهذه الحادثة التي اسفنا لها جميعنا اسفاً عظيماً